المحاضرة الأولى : الفلسفة العملية وأزمة التنظير **1**

1 ـ مدخل إلى الفلسفة واليومي

عند محاولتنا لتحديد مجال الفكر الفلسفي يجب أن ننتبه إلى الدور الذي تلعبه الفلسفة في الحياة اليومية، خاصة في تحديد معطياتها. لكن ما يلفت انتباهنا هو أن اليومي أصبح موضوعا متميزا يتعلق بالتفكير عامة، والتفلسف خاصة. لأن « الفلسفة تورث لأبنائها أو محبيها العمق في التفكير وسداد الرأي وتربية ملكة النقد الدقيق والحكم السليم، وفهم أمور الحياة فهما صحيا ».[1] ومنه يمكن القول أن المكان الحقيقي للفلسفة هو الحياة اليومية، وأن الإنسان إنما يطرح بواسطتها إشكاليات الحياة اليومية التي هي إشكاليات فلسفية في جوهرها، حتى وإن بدت في ظاهرها ساذجة وعامة لتدفع الإنسان إلى إحداث النشاط الفكري في نفسه، الذي يتناول حقائق الحياة، مستخدما في ذلك النظرة الفلسفية الناقدة والفاحصة، بعيدا عن قبول الأشياء من دون نقد .

إن بداية الفلسفة لدى الإنسان هو الواقع الفعلي لحياة الناس اليومية الجارية، حيث يعتبر زكي نجيب محمود أن التفلسف عند الأفراد إنما يبدأ بممارسة الحياة اليومية التي لا تنطلق من فراغ، بل من إشكاليات الواقع المعيش . وفي ذلك يقول : « إنه من ممارسة الناس في حياتهم اليومية الجارية يبدأ الفكر الفلسفي نشاطه، وذلك لنلفت الأنظار إلى أن الفلسفة لا تبدأ من فراغ، بل هي ترتكز على أمور الواقع لتجعل من هذا الواقع نقطة الابتداء في سيرها، فإذا كان الناس في حياتهم الواقعية يحكمون بالحق على أقوال ، وبالخير على أفعال ، وبالجمال على أشياء، فلابد أن تكون لديهم المعايير التي على أساسها يحكمون، غير أنهم في كثير من الحالات لا يكونون على وعي كامل

---

[1] ـ عبده مباشر : على شاطئ الفلسفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2005 ، ص 13 .

بتلك المعايير، أما هذه المعايير فهي التي يطلق عليها اسم القيم . وأما الذي يحاول أن يستخلصها من حياة الناس، لينقلها من الخفاء إلى العلانية، ومن الغموض إلى الوضوح، فهو الفيلسوف ».[2]

ولتحديد علاقة الفلسفة بالحياة اليومية يجب أن ننطلق مما يلي :

أ ـ اليومي بين القريب والبعيد

عندما نريد معرفة اليومي وما يحمله من إشكاليات، يجب أن نتوجه إلى هذا اليومي ومساءلته من أجل استخراج معانيه. لأنه يحمل مجموعة هائلة من الأفكار، غير أن هذه الأفكار مخفية وراء ممارسات الإنسان العادية. كما أن التعابير الإنسانية تحاول من حين إلى آخر استئصال هذه المعاني من اليومي في ذاته ، وهذا من خلال الممارسات اليومية التي يقوم بها الإنسان عبر وسائل متنوعة مثل تكنولوجيات الإعلام والاتصال أو التكنولوجية العلمية والثقافية وغيرها ....غير أن هذه التقنية لفهم اليومي تفرض علينا تصوير الحياة اليومية العادية على أنها خوارق وظواهر ليست بالبسيطة من حيث فهمنا لها، مما تجعلنا نمعن النظر فيها ، ونصبح مجبرين على إعارتها اهتماما بالغا .

إن اليومي بما يحمله من إشكاليات يدخل فجأة في مجال التفكير فنكتسبه كقيمة لم نعتدها من قبل، وهذا يعني بالنسبة إلينا أن الإنسانية بدأت قيمها الروحية تتلاشى، مما أدى بها إلى العودة للعادي والمألوف من أجل تقديسه والإعجاب به ، ليس لكونه حاضرا لنا فقط ، بل وكأن هذا اليومي نراه دائما نافعا لنا ومفيد . إذ لا يمكن فهم

---

[2] ـ زكي نجيب محمود (وآخ) : فلسفة القيم للصف الثالث الثانوي أدبي ، المستوى الخاص ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، 1977/1976 ، ص ص 5 – 6 .

اليومي على أنه بديهي وساذج وعادي ....بل هو يقبل أن يكون إشكال ويستدعي منا تفكير .

يعتقد **موريس بلانشو Maurice Blanchot** [3] في كتابه القول اليومي la parole quetidienne أن اليومي يأتينا مبتورا إذا اقتصر على مجال حياتنا فقط الضيقة ، ومجال اليومي القريب ، أي إذا لم يضم داخله تجارب الآخرين التي سنحصل عليها بواسطة المعرفة ، والعلوم والتكنولوجيا . وهذا يقودنا بالضرورة إلى الإقرار بعدم اختصار اليومي في حياتنا الذاتية الضيقة، كما لا يمكن استبعاد البعيد من خلال استقراب العادي وتأصيل القريب . فالقريب بالفرنسية Prochain وبالانجليزية Next بمعناه الفلسفي ضد البعيد، ويطلق القريب على اعتبارات ثلاث : باعتبار المكان أو الزمان أو المرتبة، فباعتبار المكان فهو مرادف للمجاور، أما باعتبار الزمان فهو الذي لا يفصله عن الوقت المقصود إلا مدة قصيرة ، أما باعتبار المرتبة فهو الذي تدنو رتبته من مرتبة الآخر مباشرة . ومن هنا كان معنى القريب مقابلا لمعنى الأول والأخير والأعلى .[4]

---

(3) - موريس بلانشو Maurice Blanchot كاتب وفيلسوف فرنسي ، ولد في 22 سبتمبر 1907 بـ Devrouze بفرنسا ، وتوفي بـ le :esnil – Sqint – Denis بفرنسا . كانت لأعماله تأثيرا قويا على فلاسفة ما بعد البنيوية مثل جيل دولوز و ميشيل فوكو وجاك دريدا .

(4) - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ص 190 .